جهود عبد القادر بن غِدَادُ في كتابة تراجم أعلام نيجيريا

الأستاذ الدكتور يحي إمام سليمان
قسم اللغة العربية، كلية الآداب والدراسات العربية،
جامعة بايرو بكنو – نيجيريا
+2348023855133
suleimany4156@buk.edu.ng

ملخص:

يعتبر أدب التراجم فنا من الفنون النثرية التي تستمد روافدها من التاريخ والفن القصصي، وقد عرفته الأمم القديمة حيث حفلت بتسجيل ذكريات أبطالها وأعيانها ونبلائها ومشهوريها في صور مختلفة. وقد اعتنى العرب والمسلمون أشد العناية بهذا الفن وافتنوا في تبويبه وترتيبه. ولما انتشرت الثقافة العربية الإسلامية في نيجيريا، وأدرك علماء القرن التاسع عشر الميلادي أهمية تدوين التاريخ وكتابة تراجم الأعلام وأن الذين سبقوهم لم يولوا ذلك اهتماما يذكر، بدأوا يبذلون جهودا فردية في تدوين التاريخ بصفة عامة والعناية بأدب التراجم بصفة خاصة. فهذا المقال يهدف إلى إبراز جهود عبد القادر بن غداد في هذا المجال من خلال ثلاثة من مؤلفاته. ويتم معالجة ذلك من خلال ثلاثة محاور بعد المقدمة، وهي: (1) فن التراجم وأهميته (2) كتابة تراجم الأعلام عند علماء نيجيريا (3) جهود عبد القادر بن غداد في كتابة تراجم الأعلام. ثم الخاتمة التي تحتوي على خلاصة أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

أولا– فن التراجم وأهميته

"التراجم هي إحدى الفنون النثرية التي تأخذ مادتها من التاريخ والمواقف الإنسانية، وتجارب الحياة المتعلقة بالبشر، وقد عرفت الأمم القديمة هذا اللون من الأدب لأنها حفلت بتسجيل ذكريات أبطالها وأعيانها ونبلائها ومشهوريها، وكان هذا التسجيل في صور مختلفة كتابيا في المعابد وعلى الصخور والحجارة والمعادن المختلفة وشفويا توارثه الرواة وعامة الناس ورددوه في مجالسهم وأحاديثهم ولهجوا بذكريات أشخاص عاشوا بينهم وخلفوا مآثر تُذكر وأخبارا تروى"[1].

حفل التراث الإسلامي بفن التراجم أيما احتفال، فقد اعتنى المسلمون به عناية عظيمة، "وبدأت عنايتهم بهذا العلم بعد عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، بزمن يسير، حيث حرص العلماء على حماية المصدر الثاني من مصادر التشريع في الإسلام، وهو الحديث النبوي الشريف، وصيانته من الكذب والتزوير والغش والتلفيق والدسّ، فنشأ هذا العلم قاعدة في تلقّي الأخبار عن الناس، وبالأخص فيما يتعلق بالحديث النبوي الشريف أولا، ومن ثم الآثار المروية عن الصحابة والتابعين وباقي طبقات العلماء خصوصا والناس عموما"[2].

وتراجم الأعلام تساهم في مجالات كثيرة، تحدث العلماء والكتاب كثيرا عنها، ذكر الأستاذ أيوب وحماني بعضا منها كالآتي:

- معرفة بعض المرويات عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن غيره فيما تنقله تراجم الأعلام، حيث قد لا يحاط ببعض هذه المرويات إلا في كتب التراجم والمسانيد.
- معرفة آثار بعض الأئمة وتأثيرهم، وذلك من خلال النظر في مصنفاتهم وأقوالهم، ومدى تأثرهم بشيوخهم وتأثيرهم في تلاميذهم.

- معرفة صالحي الأمة، سيرة وأخبارا ومواقف وأثرا في حفظ دين الأمة وبالتالي إدراك المكانة التي حازوها في هذه الحياة.
- معرفة شرف العلم وما ينبغي بذله في سبيل تحقيقه.
- وصل اللاحق بالسابق، لتتحقق بذلك الانخراطية في ركب العلماء.
- مقارنة المحْدَثين بالقدماء حتى يُعرف حجم البذل والتضحية والثمرة، فيحصل بذلك التواضع ووضع النفس في مكانتها الحقيقية.
- شحذ الهمة بالاطلاع على سير السابقين.
- تحقيق المحبة بالنظر إلى مناقب السابقين ونهجم القويم.
- تحقيق الحد الأدنى على الأقل من الإلمام بحال الرواة من حيث القوة والضعف القبول والرد.[3]

ثانيا: كتابة تراجم الأعلام عند علماء نيجيريا

التراجم والسير بجميع أنواعهما جزء مهم من التاريخ، بل هي نوع من أنواعه، فـ"كما كتب المؤرخون الأحداث التاريخية لعصور معينة، جاء كتاب التراجم فسجلوا تاريخ الأفراد، فبقراءة تاريخ الناس تستطيع أن تعرف طبيعة العصر الذي يتحدث عنه الكتاب عن طريق معرفة أهم الشخصيات والأعلام، فهي بمثابة السجل المدني للعصور"[4].

فلما انتشرت الثقافة العربية الإسلامية في نيجيريا، وخاصة في عصر الفودويين في القرن التاسع عشر الميلادي، أدرك العلماء –وهم الكُتاب– أهمية تدوين التاريخ وكتابة تراجم الأعلام وأن الذين سبقوهم لم يولوا ذلك اهتماما يذكر، فبدأوا يبذلون جهودا فردية في تدوين التاريخ بصفة عامة والعناية بأدب التراجم بصفة خاصة.

يعتبر محمد بلُّو من الأوائل الذين ساهموا في هذا المجال بكتابه المشهور "إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور"، وقد ضمن الكتاب تراجم بعض العلماء الأعلام. حكى في

مقدمة الكتاب أنه لما أراد تأليفه كان يتردد، علما منه بأنه لم يسبقه أحد في هذا المضمار حتى يقتبس منه، فقال: "... بقيت النفس تتشوَّف إلى تاريخ ما وقع في هذ الزمان من الخير، خصوصا مع إضافة ما وقع فى هذا القطر من العجائب والغرائب، وأخبار الملوك والعلماء، وما ينخرط في ذلك من ذكر النوادر في هذا القطر مما يستعذب به الفهم والعقل، وتستلذ عند سماعه الأسماع في النقل، فجعلت أقدم رجلا وأؤخر أخرى، علما مني بأنه لم يستصبح أحد قبلي في هذا الظلام، فأقتبس من سراجه في هذا المرام"[5] وقال: "أن تسجيل التواريخ في هذه البلاد مهجور أصلا"[6].

ساهم علماء آخرون في كتابة تراجم الأعلام في هذه البلاد، أمثال: عبد الله بن فودي (1829م) بكتابه "إيداع النسوخ من أخذت منه من الشيوخ، ذكر فيه معظم مشائخه وما أخذ عنهم من العلوم، وغداد بن لَيْمَ بكتابه في مناقب الشيخ عثمان "روض الجنان في ذكر مناقب الشيخ عثمان"، وعبد القادر بن غِدَادُ وسيأتي ذكر مساهمات.

فخلاصة القول، لم يصلنا الكثير من مساهمات العلماء الكتّاب القدامى في هذا المجال، ولعل ذلك تسبَّب عمّا قام به المحتل الأجنبي من سرقة تراث هذه الأمة من المخطوطات ونهبها لتنشأ أجيال مطموسي الهوية.

ثالثا– جهود عبد القادر بن غداد في كتابة تراجم الأعلام

عبد القادر بن عثمان الملقب بـ(غِدَادُ) بن أبي بكر الملقب بـ(سَمْبُولَيمَ) بن عمر بن أحمد، علَمٌ من الأعلام الفودوويين في مناطق شمال ما تعرف اليوم بنيجيريا قبل أن يحتلها المحتل ويسميها نيجيريا. وُلد بصَكُّتُو Sokoto سنة ألف وثمانمائة وتسع ميلادية 1809م، في فترة الجهاد الإصلاحي الذي قام به الشيخ عثمان بن فودي. كان والده غِدَادُ عالما مشهورا من كبار العلماء ووزيرا للدولة الفودوية في إمارة محمد بلُّو، فنشأ عبد القادر في بيت عزٍّ وعلم وأدب، وأصبح عالما كبيرا، وفارسا من الفرسان

الذين يُشار إليهم بالبنان، ووزيرا للدولة في عهد أمير المؤمنين علي (الكبير) بن محمد بلُّو سنة 1851م، حامِلاً لقب "أمير المصالح ووالي النصائح"، ومراعِيًا مسؤولية الإمارات الشرقية التي هي: كنو Kano وزَارِيَا Zaria وحَطِيجِيَا Hadejia وكَتَاغُمْ Katagum ومِسَوْ Misau وأَدَمَاوَا Adamawa وغُمْبِي Gombe بالإضافة إلى مدينة صَكّتو Sokoto. وتوفي في أول ديسمبر سنة 1859م،ودُفن بشرق صَكّتو، في قرية تسمى وُرْنُو Wurno، رحمة الله عليه.(7)

خلَّف عبد القادر نتاجات علمية مختلفة ما بين منثورة ومنظومة، منها كتب في فن التراجم، ويعتبر من أوائل العلماء الذين ألفوا في هذا المجال، تلقي الأسطر الآتية ضوءً على ثلاثة منها:

(1) أنيس المفيد في التعلق بمشائخنا القواد

احتوى الكتاب تراجم كلٍّ من الشيخ عثمان بن فودي، وعبد الله بن فودي، والأمير محمد بلُّو بصفتهم مشائخ من أبرز الشخصيات القيادية للحركة الإصلاحية الفودوية، تلك الحركة التي عمّت مناطق بلاد حَوْسَ(8) في أواخر القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر الميلاديين، وأحدثت تغييرات سياسية رائعة وإصلاحات دينية قيمة، وأدت إلى نهضة علمية وثقافية لا مثيل لها في تاريخ المناطق.

تم تأليف الكتاب في خلافة الأمير عليّ بن محمد بلُّو في الفترة بين السنة التي تولى الخلافة فيها 1843م، وسنة وفاته 1859م.(9) والحافظ إلى التأليف هو حبُّه لهولاء الرجال، والاعتراف بقدرهم ومكانتهم، والرغبةُ في التأسي بهم والاقتداء بسيرهم، وحب التبرُّك بذكرهم لأنهم شموس الهدى وبدور الإسلام، ورجال من أولياء الله الصالحين الذين بذكرهم تتنزل الرحمات.

أتى المؤلف في البداية بمقدمة بيّن فيها عنوان الكتاب والهدف من التأليف موضِّحا الدافع له في التبرّك بذكر المشائخ القواد ليحصل له بركاتهم، سائلا الله أن يجعل تأليفه خالصا لوجهه الكريم.

ثم بدأ بأول المترجَمين وهو عثمان بن فودي قائلا:" فَمِنْهُمْ شيخُنا شيخُ الإسْلامِ، وسيِّدُ سَادَاتِ الأعلامِ ، ومُحيِي سنّةَ سيّدِ الأنامِ، أبو محمد عثمانُ بْنُ محمد بن عُثمان المعروفُ بابن فُودِي، رحمهُ الله ورضي عنهُ"، فتحدث عن حاله منذ نشأته ومكارم أخلاقه مشيرا إلى بعض عوامل تكوينه عالما ومتصوفا وقائدا، وموضحا طرق دعوته إلى الله سبحانه وتعالى، وما أمدَّهُ الله به من الفيض، وما حصل له من الجذب الإلهي حتى أهَّله الله الدعوةَ إليه وإرشاد العامة والخاصة إلى سبيله. وتحدَّث عن بعض كراماته، وأبنائه الذكور والإناث، كما ذكرَ نتاجاته العلمية من مصنفات ومؤلفات، وختم الحديث عنه بوفاته. وكان يستشهد في ذلك بأقوال وقصائد من غيره.

ثم انتقل إلى الحديث عن المُترجَم له الثاني قائلا: "ومِنهُم العَالم العلَّامَةُ، والقُدْوَةُ الفهَّامَةُ، شَيْخُ الشُّيوخِ، أبُو محمد، عبدُ اللهِ صِنْوُهُ، رَحِمهمَا اللهُ تعَالى ورَضِي عنهُمَا"، فتحدث عن مناقبه مُركِّزًا على شهرته بالعلم والصلاح، ورسوخ القدم وسعة الرحب في كلّ مشكلٍ، وكونه سيف الله على ذوي البدعة، معدِن الصدق والعلم والفهم، آية في تحقيق العلوم، وغير ذلك من الأوصاف النبيلة. ثم ذكر مؤلفاته، وأبناءه الذكور والإناث، وختم الحديث عنه بوفاته.

ثم انتقل إلى الحديث عن المُترجم له الثالث والأخير بقوله: "ومنهُم شيخُ الشُّيوخ العَالم الربَّاني، والغوثُ الصَّمداني، علَّامةُ الدّنيا، وطالِعُ المرتَبة العُليا، أبُو عَليّ محمد بِلُّ بنُ عُثمان بنُ فُودِي رضي الله عنه". فذكر أنه أخذ العربية والبلاغة عن عمِّه عبد الله، وأخذ التفسير وأصول الدين والحديث عن والده الشيخ مبيِّنا بعض الكتب التي قرأها عليهما. ثم أشار إلى مصاحبته لوالده وموازرته إياه، حيث كان يقوم بأموره فيما يخص إدارة شئون الدولة، وغير ذلك من المهامات. ثم ذكر نتاجاته العلمية من تصانيف وتواليف ونظم، وذكر أبناءه الذكور والإناث، ثم تحدث كثيرا عن كراماته، وعن غزواته في أيام خلافته، وختم الحديث عنه بوفاته.

وكان المؤلِّف خلال ترجمته للمشائخ يستشهد بأقول غيره نثرا وشعرا، كما كان يقدم قصائد قيلت في مواقف ومناسبات مختلفة، ويضع كل قصيدة في المكان اللائق بها.

وفي ختام ترجمته لهم أتى بقصيدة من نظمه يتوسل فيها إلى الله بشيوخٍ وهم: الأمير سيد عصره علي بن محمد بلُّو، والشيخ محمد بلُّو، وأخوه أبو بكر عتيق، والشيخ عثمان، وأخوه عبد الله، والشيخ عبد القادر الجيلاني، والشيخ أحمد البدوي، والشيخ أحمد الرفاعي، والشيخ إبراهيم الدسوقي، منها هذه الأبيات:

دَعَوْتُكَ يَا رَبِّي إِلَهِي وَخَالِقِـي * بِجَاهِ عَلِيّ[10] صَابِـرٍ سيّدِ العصرِ

بشَيخِي أمِيرِ المؤمِنينَ أبِي الهُدَى[11] * بِجَـاهِ أَخِيهِ اَلْحَلِيمِ أبِي بَكرِ[12]

*** *** ***

أَجِرْنَا مِنَ البَلْوَى وَأَمِّنْ بِلَادَنَـا * بِأَمْنِكَ يَا رحمنُ بِالعَونِ وَالنَّصرِ

*** *** ***

بِجَاهِ مَلاذ الكُلِّ وَهو رسُولُنا * هُو المصطفَى المختارُ مِنْ كُلِّ طَاهِرِ

عَلَيْهِ مِنَ المولَى أجلُّ صَلاتِه * وأزكَى سَلَامٍ طَيِّبٍ أَبَدَ الدَّهْرِ

كَذَا الآل والأَصْحَاب رِضْوَان رَبّنَا * وَأَرْغِمِ أَنْفَ الكُفْرِ مِنْ ذَلِكَ القُطرِ

ثم أعلن انتهاءه من الكتاب قائلا: " فَهُنَا انْتَهَى مَا أَرَدْنَا جَمْعَه بِعَونِ اللهِ وتأييدِه. جَعلهُ اللهُ خالصًا لوجهِهِ بجاهِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم وصَحبِه وسَائِرِ المؤمِنينَ". والْتَمَسَ من ذوي الألباب أن ينظروا إلى مجموعه هذا بعين الرضى والإنصاف، ويصلحوا ما فيه من اللحن، ويعذروه من أيّ قصور يصدر منه؛ فقد وضع الكتاب وهو يعاني من اشتغال البال، وعدم انضباط الأحوال. فختم حديثه مصلِّيًا ومسلِّمًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحمد الله أولا وآخرا.

(2) مجموع الوزير في ذكر مناقب الأمير

يحتوي هذا الكتاب على مناقب علي (الكبير) بن محمد بلُّو الذي كان أميرا للدولة في صَكُّتُو من سنة 1843م إلى أن توفي سنة 1859م، وكان المؤلِّف وزيرا له وذراعه اليمين في مدة حكمه، صاحبه في حله وترحاله، وكان شديد الإعجاب به الأمر الذي حفزه أن يأخذ يراعه ويؤلِّف فيه هذا العمل الرائع الذي ما زال ولا يزال رمزا للوفاء، لِيكون الأمير قدوة صالحة للأجيال بعده.

لم يذكر عبد القادر تاريخ التأليف، ولكن الاعتبار بما ذكره في الباب الثالث من الكتاب من خبر ذهابه الأخير إلى حَطِيجِيَا بجيشٍ ضدِّ أميرها البخاري وأن ذلك وقع سنة 1853م[13] وأن عبد المؤلف تُوفِّي سنة 1859م، يجعلنا نقول أن تأليف الكتاب تمَّ في ست سنواته الأخيرة تقريبا، أي ما بين 1853م إلى 1859م.

قسم الكتاب إلى مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة؛ فاستفتحه مبتدأً بالبسملة والثناء على الله والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم، مبيّنا قصده من التأليف، ومحدِّدا منهجه في نوع من الاختصار. ثم قدم عذرا إلى القارئ في الأخطاء التي قد تعترض له في سبيل تأليف الكتاب. والْتمس من النّظار في الكتاب أن ينظروا إليه بعين الإلطاف مع الإنصاف في الحكم عليه. وأتى بشعر له في في هذا الغرض قائلا:

أَخِي لاَ تَلُمْ مِنْ حَاطِبٍ لَيْلَ ظُلْمَةٍ * وَقَدْ سَنَّهُ الحُطَّابُ مِنْ كُلِّ أُمَّةِ
فَمَا حَمَلَهُمْ إِلاَّ احْتِيَاجُ نُفُوسِهِمْ * وَهَلْ يَعْتَنِي الإِنْسَانُ إِلاَّ لِحَاجَةِ
إِذَا مَا بَدَا لَكَ مَا تَمَثَّلْتُ يَا أَخِي * دَعِ اللَّوْمَ وَالإِعْيَابَ بَلْهَ الإِذَايَةِ
تَرَى البحرَ فِي عُمْقٍ يَغُوصُ لِدُرِّهِ * يُحَاوِلُهُ مَنْ عَضَّهُ سِنُّ حَاجَةِ
فَإِنْ وُفِّقَتْ يَدُهُ عَلَى مَا يَرُومُهُ * فَنِعْمَ وَإِلاَّ يَسْتَزِيدُ بِهِمَّةِ
أَخُ الجِهْدِ لاَ يَلْوِي لِمَا يَعْتَرِي لَهُ * مِنَ المُعْضِلاَتِ الدَّاعِيَاتِ المشَقَّةِ
فَهِمَّتُهُ نَيْلُ المرَامِ إِذَا امْتَطَى * لِعَزمَتِهِ فِي طَلَبِهِ كُلِّ بُغْيَةِ

ثم أتى بالمقدمة التي تشتمل على حديث مبسوط في سيرة الأمير السنية ومناقبه العلية. وأتى فيها بقصيدة يذكر فيها طبعَ هذا الأمير وشيمته، وأثبت أن ذلك عين ما يأمر به القرآن والسنة. كما نفى وجود من ينكر الأوصاف التي ذكرها فيه، لأنها ظاهرة واضحة فيه وفي نسله.

ثم دخل الباب الأول، فذكر فيه وزراءه وشيئا من خصالهم نظما لا نثرا، كما أتى فيه بقصيدة أخرى يذكر فيها ما لهُ من حق الطاعة عليهم، مستندا إلى قوله تعالى في ﴿يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيءٍ فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ سورة النساء: 59.

وفي الباب الثاني، تحدث باختصار عن نوّابَه في الأقاليم والبلدان التابعة لخلافة صَكُّتُو آنذاك، ذاكرًا ما لكل واحد منهم من الخطة والهمة.

وفي الباب الثالث، تحدث بالتفصيل عن غزواته، وأتى فيه بقصيدتين طويلتين وقطعة من الشعر في مواقف ومناسبات مختلفة.

وفي الآخر أتى بالخاتمة، أعاد فيها ذكر بعض محاسن الأمير، وتمسكه بالدين على ما عليه السلف الصالح، وبيّن أنه لم يقم إلى هذا التأليف إلا بعد تردد واستخارات، لغلبة المراء والاستهزاء في زمانه. وأنه لم يضع هذا الكتاب "إلّا تنبيها للجهّال على ما لم يقفوا عليه من الأحوال. ونصيحة للعقلاء من الأفحال".

ثم أنهى كلامه مُنْصحًا القارئ بأن يأخذ ما أتى به في هذا الكتاب بحبٍّ واعتناء وتأييد، وأن لا يحقده فيه ويفنده، لأنه لم يقدم إلى هذا العمل لغرض مادي، فالله هو العليم بما في الصدور، وقال نظما:

أَتَيْتُكَ صَاحِ بَعْضَ سِيرَةِ سَيِّدِي * فَخُذْهُ بِحُبٍّ وَاعْتِنَاءٍ وَأَيِّدِ
فَلَا تَكُ لِي فِيمَا وَصَفْتُ مُحَاقِدًا * فَجُدْ لِي بِتَصْدِيقٍ فَلَا تَكُ مُفْنِدِي

*

إِلَى اللهِ أَرْغَب فِي القَبُولِ بِنَفْعِهِ * لِمَا قَدْ أُرِيدَ بِهِ هُنَا وَكَذَا غَدِ
هُوَ اللهُ عَلَّامُ الغُيُوبِ بِمَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ الصُّــدُورُ جَلَّ رَبّ الأَعَابِـدِ

(3) بسط الفوائد وتقريب المقاصد

هذا الكتاب لا يزال مخطوطا غير منشور[14]، يعمل في تحقيقه حاليا كاتب هذه السطور، وهو قاموس للتراجم يحتوي على أسماء حوالي أربعمائة وخمسين (450) من أصحاب الشيخ عثمان بن فودي الذين آزروه وجاهدوا معه في سبيل الإصلاح وتأسيس الدولة الفودوية القائمة على الكتاب والسنة. وقد جعلهم في ثلاث طبقات، وجمع رجال كل طبقة في كتابٍ واحدٍ مرتَّبين على ترتيب حروف المعجم.

بدأ الكتاب بمقدمة، ذكر فيها قصده بهذا التقييد –كما سماه– وأنه رتبه على ترتيب حروف المعجم لكل كتاب، على طريق الجوهري وصاحب القاموس وغيرهما من المتقدّمين، وأنه سيفتتح لكل كتاب ببسم الله الرحمن الرحيم إقتداء بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتأسّيًا بفعل السادة الأخيار. وسمى الكتاب (بسط الفوائد وتقريب المقاصد)، وذكر ما احتوى عليه كل كتاب من الكتب الثلاثة: جعل الكتاب الأول في ذكر بعض فضلاء أصحاب الشيخ عثمان بن فودي وهم الطبقة الأولى، والكتاب الثاني في ذكر بعض من يلي طبقاتهم، والكتاب الثالث في ذكر الطبقات المعاصرة للمؤلف، مشيرا إلى أنه وضع تسمية بعض الرجال المترجَمين على الكناية ليتوازن بالحروف ولتسهيل النظر إلى ذلك، لأن منهم من لا يمكن تسميته إلا بكنية، لأنها له عَلَمًا، بها يُعرف.

واختتم الكتاب بقوله: "وفي هذا الاختصار مع الاقتصار كفاية لما نويناه من ذكر هذه القرون[15] أصحاب أئمتنا ومن يليهم إلينا. وقد اقتصرنا على قدر من ذكرنا خوف الإطالة المؤدي إلى السآمة والملامة فكم مَنْ لم نذكرهم من الشيوخ والطلبة والتلاميذ والصلحاء اقتصارا وخوف التطويل". ثم ذكر أنه ما

حمله إلى ذكر أسمائهم وذكر ما اشتهر به كل واحد منهم من الخصائص المحمودة والسيرة المرضية إلا التيمن والتبرك ببركاتهم – ففيهم من له العناية الظاهرة، وفيهم من له العناية الباطنة ولا يراها إلا العارفون – راجيًا من الله أن يمن عليه وعلى كل من نوى بذكرهم كما نوى، وهو المنان ذو الفضل والإحسان.

لا شك أن هذه الكتب الثلاثة لها قيمة عظيمة، فهي من المصادر الأساسية التي لا غِنى عنها للباحثين والكُتَّاب فيما يخص تراجم رجالٍ من أعلام الثقافة العربية الإسلامية المشهورين في نيجيريا، وذكر أخبارهم، وأشعارهم، ونتاجاتهم العلمية من مؤلفات ومصنفات ونظم. فقد استفاد منها المرحوم الوزير جنيد في تأليف كتابه "ضبط الملتقطات"، والبروفيسور مُورِي لاسْتْ Murry Last في كتابه المشهور في تاريخ خلافةً صَكُّتُو الموسوم (The Sokoto Caliphate)، والدكتور علي أبو بكر في كتابه "الثقافة العربية في نيجيريا"، والدكتور شيخو أحمد سعيد غَلادَنْثِي في كتابه "حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا"، وغيرهم.

الخاتمة:

توصل المقال باختصار إلى أن التأليف في التاريخ عامة وفي تراجم الأعلام والسير خاصة لم يكن متوفرا في نيجيريا، فلما كثر انتشار اللغة العربية في عصر الفدويين، وأدرك العلماء القدامى أهمية الكتابة في هذا المجال وأن الذين سبقوهم لم يولوا ذلك اهتماما، بذلوا جهودا وألفوا بعض الكتب في ذلك، إلا أنه لم يصل إلينا من تلك المؤلفات سوى القليل، ولعل ذلك يرجع إلى ما قام به المحتل الأجنبي من سرقة كثير من مخطوطات المنطقة ونهبها لتنشأ الأجيال مطموسة الهوية.

وأن عبد القادر بن غِدَادُ (ت 1859م) كان من العلماء الكتاب الذين ساهموا في تأليف تراجم الأعلام؛ ألف فيها كتبا ربطت بين الحاضر بالماضي، لا غنى عنها

عند الدارسين والباحثين فيما يخص نيجيريا في أواخر القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر الميلاديين.

الهوامش والمراجع

(1) الدكتور محمد عزلاوي، أدب التراجم في التراث العربي، مجلة الربيبة، مجلة رقمية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، العدد الخامس 1 ديسمبر 2017م، رابط المجلة: https://arrabiaa.net ، تاريخ الزيارة: 1 سبتمبر 2023م.

(2) محمد عدنان كاتبي، علم التراجم ومكانته في حياتنا. دراسة منشورة بالموقع الإلكتروني: https://islamsyria.com تاريخ الزيارة 3 سبتمبر 2023م.

(3) أيوب وحماني، أضواء على علم التراجم. دراسة منشورة بموقع المنار الإلكتروني: https://islamanar.com/transliteration/ ، تاريخ الزيارة 3 سبتمبر 2023م.

(4) د. محمد أبو عوف، كتب التراجم والسير كنوز عربية مهدرة: عندما تقرأ تاريخ العرب من خلال شخصياته، موقع أراجيك: https://www.arageek.com/arabic-biographies-books ، تاريخ الاطلاع: 1 سبتمبر 2023م.

(5) محمد بلُّو، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، منشور ضمن: مختارات من مؤلفات أمير المؤمنين محمد بلُّو، طبعة دار إقرأ للطباعة والنشر، غُسَوْ، المجلد الأول، 2013م، ص132

(6) نفسه، ص133

(7) انظر ترجمته في: مجموع الوزير في ذكر مناقب الأمير تأليف عبد القادر بن غداد، دراسة وتحقيق: الدكتور يحي إمام سليمان، الخير للطباعة جمهورية مصر العربية 2014م، ص 8 -16

(8) بلاد حَوْسَ منطقة "تمتد من بحيرة تشاد غربا إلى الضفة الشرقية لنهر النيجر، على شكل مثلث قاعدته شمالا عند مرتفعات آهير، وقمته إلى الجنوب، يُكَوّن نهر بِنْوَيْ ضلعه الأيمن ونهر النيجر ضلعه الأيسر، ويحده من الجنوب الشرقي مرتفعات بَاوْتْشِي ومن الشمال الشرقي بحيرة تشاد ومن الشمال مرتفعات آهير، ومن الغرب نهر النيجر. ويحدد بعض العلماء بلاد حَوْسَ تحت سلطة عثمان بن فودي من الكامرون الحالي شرقًا حتى بُركِينَا فَاسُو غربًا. انظر: بهيجة الشاذلي: المخطوطات العربية الإفريقية ودورها في إعادة قراءة التاريخ السياسي لإفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن التاسع عشر، مقال منشور في موقع وزارة الثقافة – المملكة المغربية: http://www.minculture.gov.ma/index.php/2010-01-11-01-40-04/etudes-essaie/247

(9) انظر: عبد القادر بن غِدَادُ، أنيس المفيد في التعلق بمشائخنا القواد، دراسة وتحقيق: الدكتور يحي إمام سليمان، نشر دار النور، ألمانيا 2017م، ص10

(10) هو علي (الكبير) المشهور بِـ (عليّ بَبَّا Ali Babba)، سبق ذكره ضمن أبناء محمد بلُّو بن عثمان بن فودي، وُلد بمدينة سَالَ Sala سنة 1808م. وبويع بالخلافة عام 1843م إلى أن توفي عام 1276هـ = 1859م. وكان مؤلِّف هذا الكتاب وزيرا له طوال مدة خلافته. راجع:جنيد، ضبط ص93.

(11) يقصد به أمير المؤمنين محمد بلُّو بن عثمان بن فودي.

(12) يقصد به أبا بكر عتيق بن عثمان بن فودي.

(13) انظر: عبد القادر بن غدادُ، مجموع الوزير في ذكر مناقب الأمير، دراسة وتحقيق الدكتور يحي إمام سليمان، الخير للطباعة، جمهورية مصر العربية 2014، ص17-18

(14) مخطوط، موجود بمكتبة الوزير جنيد، ودار الوثائق سَكُّتُو تحت رقم مخ ع 86/56/2.

(15) القرنُ من القوم: سيِّدهم، والقرنُ: أهل عصر واحد أو زمان واحد، أمة أو جماعة تعيش في عصر أو زمان واحد. انظر: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/القرن/